اصداءها في الليل ، وظهرت الطائرات الانجليزية في الجو لاول مرة ، فتدافع الناس لمشاهدة هذه العجيبة ، التي تبشر بقرب القيامة ، وانتشرت الاخبار عن اندحار الاتراك امام الانجليز الزاحفين على فلسطين · وكانت هذه هي اللحظة التي ينتظرها الشيخ لافي للاغارة على حافظ باشا في عقر داره واحراق قصره بعد ان شفي من الجدري التي حفرت جلده ، حتى بات من الصعب على من كان يعرفه تمييزه الا بقامته المنتصبة ويديه الضخمتين ، واستطاع ان يلم شتات رجاله بعد ان ارسل حسن المعتوه يقرع « تنكته » في الجبال مبشرا بشفائه ·

ولكنه قبل ان يفي بنذره في شنقه بيديه امام السراي وعلى مرأى من جميع الناس كما فعل بخاله الشيخ المبروك احمد الحمد ، مات حافظ باشا « بالجلطة » التي كان قد سببها له ، دون ان يترك حتى ولدا واحدا خلفه لاشفاء غليله منه ، فراح الشيخ لافي يوجه غاراته برجاله على الجذود الاتراك المنسحبين نحو بلاد الشام عبر نهر الاردن ، للاستيلاء على ما يستطيع من اسلحتهم وخيولهم الى ان عبروا النهر الى غير رجعة ·

ولكنهما كاد يستريح من مطاردة الاتراك ، حتى بدأت اخبار الجيش الانجليزي الذي احتل فلسطين كلها ، وبحثه عن المسلحين الفلسطينيين ممن فروا من الجيش التركي وغيرهم، لتجريدهم من سلاحهم واعتقالهم ، تنتشر في جميع قرى المرج ، ولكن ليس هذا ما اثار غضب الشيخ لافي وافقده صوابه ، لانه اذا كان الاتراك الذين كانوا يحكمون الدنيا لم يقدروا عليه ، فكيف سيقدر هؤلاء « العلوج » اولاد البارحة عليه ، وان كانوا رجالا فليجربوا حظهم معه ، ولكن ما اغضبه وافقده صوابه كان ، هو ما سمعه من ان الانجليز وعدوا « الخواجات اللي في الكبانيات » والذين يأتون عن طريق البحر ، بانهم سيعطونهم فلسطين ، لكي يقيموا فيها دولة ، وانهم قد بدأوا بترحيل اهل الفولة والعفولة ، وينوون ترحيل جميع القرى الواقعة في قلب مرج ابن عامر وغور بيسان ، لكي يقيموا فيها « الكبانيات » ·

والانكى من ذلك ، هو ما كان قد سمعه من اخبار ذلك القائد الانجليزي اللنبي ، الذي دخل القدس ، والذي استقبله الناس استقبال الابطال ، لانه جاء ليخلص الناس من حكم الاتراك وظلمهم ، كما ظنوا لغبائهم ، فاذلهم الى حد ان مفتي القدس الجليل ، الشيخ كامل الحسيني ، وهو اول من ذهب لاستقباله ، غضب من كلامه وانسحب · ومع انهم كانوا يستحقون الاذلال في رأيه ، لانه كيف يمكن لمحتل ان يخلص الناس من محتل ، ولكنه لم يستطع تحمل استعلاء هذا « العلج » على العرب واهانتهم مهماكان الامر ·

اما كيف اذل اللنبي الناس ، وما الذي قاله ، حتى اغضب المفتي ، فهذا ما لم يستطع الشيخ لافي فهمه ، اذ ما دخل الحرب مع الاتراك بالصليب